

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الإخوة و الأخوات السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ندعوكم لمتابعة حلقة جديدة و متعددة من صور من حياة الصحابة و التابعين، يسعدنا أن نستضيف في هذه الليلة المباركة سماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فضيلة الشيخ السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

نبدأ بالحديث عن هذه الشخصية المباركة بكلام سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه. يقول هذا الخليفة الراشد رضي الله عنه عن الأحنف بن قيس: إن هذا الغلام والله هو السيد و إنه سيد أهل البصرة، في ذات يوم ثقى عتبة بن غزوان كتاباً من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بأن يرسل إليه عشرة من صلحاء عسكره و أحسنهم بلاء في القتال ليقف منهم على أحوال الجيش و ليتملى مما عندهم من رأي و مشورة، أي ألم يقل الله عز وجل يأمر نبيه المعصوم الذي يوحى إليه:

### ﴿وَشَاؤُرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٥٩]

و الشورى في الإسلام منهج أساسي في الحياة، فتصدح عتبة بالأمر و جهز عشرة من صفوة رجاله، و جعل بينهم الأحنف بن قيس، مثل رجال الوفد بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرحب بهم و أدى مجلسهم ثم سألهم عن حواجتهم و حوايج عامة الناس فنهضوا إليهم تباعاً و قالوا: أما عامة الناس فأنت ولهم، و صاحب شؤونهم، و أما نحن فنتكلم عن خاصة أنفسنا، ثم طلب كل منهم حاجتهم التي تعنيه و كان الأحنف بن قيس آخر رجال الوفد كلاماً لأنه كان أصغرهم سنًا، لاحظ أن بقية الوفد تكلموا عن حواجتهم الخاصة لكن النفوس الكبيرة لا تهتم بحواجها الخاصة، تهتم بحوايج الناس عامة، و كلما اتسعت دائرة الاهتمام ارتقى الإنسان عند الله، فكان النبي عليه الصلاة و السلام يبكي على أعدائه يقول:

((عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))

[البخاري، الترمذى، أحمد]

كان الأحنف بن قيس آخرهم كلاماً كما قلت قبل قليل فحمد الله و أشنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين إن جند المسلمين الذين حلو في مصر قد نزلوا في الخضراء و الناصرة و الخصب من

منازل الفراعنة، و إن الذين حلوا في ديار الشام قد نزلوا في الرغد و الشار و الرياض من منازل القياصرة، و إن الذين حلوا في ديار الفرس قد نزلوا على ضفاف الأنهار العذبة و الجنان الوارفة من منازل الأكاسرة، لكن قومنا الذين حلوا في البصرة قد نزلوا في أرض هشاشة بشاشة لا يجف ترابها و لا ينبت مرعاها، أحد طرفيها بحر أجاج و طرفها الآخر فلة قفر، وصف بلغ، فأزل يا أمير المؤمنين ضرهم و أنشعش حياتهم، مُرْ مواليك على البصرة أن يحفر لهم نهرًا يستعدبون منه الماء و يسقون الأنعام و الزرع، فتحسن حالهم و يصلح عيالهم و ترخص أسعارهم، و يستعين بذلك على الجهاد في سبيل الله، فنظر إليه عمر في إعجاب و قال لرجال الوفد: هلا فعلتم هذا إنه و الله لسيد، و قدم للأحنف جائزته فقال: و الله يا أمير المؤمنين ما قطعنا إليك الفلوارات و لا ضربنا للقاوئك أكباد الإبل في البكور و العشييات لنيل الجوائز و مالي من حاجة لديك إلا حاجة قومي التي ذكرت، فإن تقضها لهم تكن قد كفيت و وفيت فزاداد عمر إعجاباً به و قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، و لما انفض المجلس و هم رجال الوفد بالانصراف إلى رواحلهم ليبيتوا عندها أجال عمر بصائره على حقائبهم فرأى طرف ثوب خارجاً من إحداها فقام فلمسه بيده و قال: لمن هذا؟ هذا ملمح دقيق جداً، قال: لمن هذا؟ فقال الأحنف: لي يا أمير المؤمنين و قد أدرك أنه استغلاه، فقال له عمر: بكم اشتريته، فقال الأحنف: بثمانية دراهم، و لم يعرف عن نفسه أنه كذب في حياته كلها غير تلك الكذبة ذلك لأنه اشتراه باثني عشر درهماً، فنظر إليه عمر في رفق و قال، هلا اكتفيت بوحد و وضعت فضلة مالك في موضع تعين به مسلماً ثم قال: خذوا من أموالكم ما يصلح شأنكم.

هذا تعليم فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي في عدم الإسراف.

وضعوا الفضول في مواضعها تريحوها أنفسكم و تربحوا آخرتكم، بينما نربى أبناءنا على أن يأكلوا حاجتهم و يطعموا ما فضل عنهم، بينما نربى أبناءنا على المأثر، يتمسك مجتمعنا، لذلك قال عليه الصلاة و السلام:

(( و الله ما آمن، و الله ما آمن، من بات شبعان و جاره إلى جانبه جائع و هو

يعلم ))

ثم إن أمير المؤمنين أذن لرجال الوفد بالعودة إلى البصرة غير أنه لم يسمح للأحنف بالبراح معهم، و استبقاءه عنده حولاً كاملاً، فقد أدرك عمر بثاقب نظره ما توافق لفتى التميي من حدة الذكاء و نصاعة البيان و سمو النفس و علو الهمة و غنى المواهب، فأراد أن يبقيه قريباً منه ليصنعه على عينه، و ليقوى كبار الصحابة فيهذه بهديهم، و يتتفقه في دين الله على أيديهم ثم إنـه كان يريد أن يختبره عن كثبـ، و أن ينفذ إلى دخيلة نفسه قبل أن يولـيه بعض شؤون المسلمين، سـيـدـناـ عـمـرـ عـقـرـيـتـهـ تـنـجـلـيـ فـيـ أـنـهـ أـحـسـنـ اـخـتـيـارـ عـمـالـهـ، مـرـةـ عـيـنـ عـامـلـاـ عـلـىـ وـلـاـيـةـ وـقـالـ: مـاـذاـ تـقـعـلـ إـذـاـ جـاءـكـ النـاسـ بـسـارـقـ أـوـ نـاهـبـ ؟ـ قـالـ: أـقـطـعـ يـدـهـ، قـالـ: إـذـاـ جـاءـنـيـ مـنـ رـعـيـتـكـ مـنـ هوـ جـائـعـ أـوـ عـاطـلـ فـسـأـقـطـعـ يـدـكـ، إـنـ اللـهـ قـدـ اـسـتـخـلـفـنـاـ عـنـ خـلـقـهـ لـنـسـدـ جـوـعـتـهـمـ، وـ نـوـفـرـ لـهـمـ حـرـفـتـهـمـ، فـإـنـ

وفيما لهم ذلك، تقاضيهم شكرنا، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمتنع في المعصية أعمالاً.

سيدنا عمر كان يريد والياً إن كان والياً حقاً بدا و كأنه واحد من إخوانه، بدا و كأنه وال عليهم، لشدة غيرته على المؤمنين، هذه مقاييس اختيار الولاية عند عمر.

سيدنا عمر كما يقال كان يخشى من الأذكياء المقاول الذين عندهم قدرة على الإقناع الفصحاء أشد الخشية، فهم إذا صلحوا ملئوا الدنيا خيراً، وإذا فسدوا كان ذكاؤهم وبالاً على الناس، أي الذكاء قوة حيادية إما أن تكون في خدمة الناس، أو أن تكون عبئاً عليهم، و لما انتهى الحول قال عمر للأحنف يا أحنف إني قد بلوتك و اختبرتك فلم أر إلا خيراً، وقد رأيت علانتك حسنة، وإنني لأرجو أن تكون سريرتك مثل علانتك، أي دقة في هذا الموقف الموضوعي، لما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ولد عمر بعض الصحابة خافوا شدته فقال أتخوفونني بالله، إذا لقيت ربى أقول: يا ربى وليت عليهم أرحمهم، ثم قال: هذا علمي به، فإذا بدل و غير فلا علم لي بالغيب، أي المؤمن أحکامه موضوعية، معتلة، متوازنة، قال: رأيت علانتك حسنة، وإنني لأرجو أن تكون سريرتك مثل علانتك، ثم وجهه لحرب الفرس، و كتب لقائده أبي موسى الأشعري ما بعده فأداني الأحنف بن قيس منك و شاوره و اسمع به، انضوى الأحنف تحت الاوية المسلمين المشرفة و المغاربة في بلاد فارس، و أبدى من ضروب البطولات ما جعل سمه يعلو و نجمه يتلألق، وألى هو و قومه بنو تميم في قتال العدو أكرم البلاء، و بنلوا أنسى البذل، حتى فتح الله على أديفهم مدينة تستر درة التاج الكسروي و أوقع في أسره الهرمزان.

الحقيقة أن الهرمزان من أشد قواد الفرس بأساً، و أقوى أمرائهم شकيمة، و أمصاهم عزيمة، و أوسعهم مكيدة في الحروب، وقع أسيراً و لقد أجهثه انتصارات المسلمين إلى مصالحتهم أكثر من مرة غير أنه كان يغدر بهم كلما سُنحت له الفرصة و ظن أنه قادر على النصر، كان غداراً، فلما أطبقوا عليه في تستر تحصن منهم في برج من أبراجها الممنعة و قال لهم: إن معي مئة سهم و والله ما تصلون إلى مadam في يدي شيء منها، و أنتم تعلمون أنني رام لا تخطئ له رمية، مما جدو أسركم إباهي بعد أن أصيب منكم مئة بين قتيل و جريح؟ فقالوا ماذا تريد؟ فقال: أريد أن أنزل على حكم خليفكم عمر و ليفعل بي ما يشاء؟ فقالوا: لك ذلك فرمى بقوسه على الأرض و نزل إليهم مستسلماً فشدوا وثاقه و أرسل إلى المدينة مع وفد من أبطال الفتح، و كان على رأسهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأحنف ابن قيس تلميذ المدرسة العمورية، مضى الوفد يحيث الخطاب بالهرمزان نحو المدينة ليبشر أمير المؤمنين بالفتح، أي بين الانتصار وبين البشرة يوجد شهر أو شهراً، أما الآن التواصل سريع جداً، أي العالم أصبح قرية، ثم أصبح بيتهما و الآن غرفة العالم كلها، هناك تفوق بالاتصالات يفوق حد الخيال.

من هنا و في هذه النقطة سماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي نتوقف، نعاود غداً إن شاء الله متابعة الحديث عن هذه الشخصية الإسلامية الرائعة، سيدنا الأحنف بن قيس نشكركم فضيلة الشيخ إلى اللقاء غداً،

والحمد لله رب العالمين